ملامح الحرب العربية ـ الاسرائيلية المقبلة

د. خيرالدين عبد الرحمن

قد يرى كثيرون ان حديثاً عن حرب عربية ـ اسرائيلية مقبلة أقرب الى ترف نظري، او خيال، منه الى بحث جاد في تطوّر مرجح وقوعه في المستقبل المنظور. عذر هؤلاء، في هذا، ما يتلاحق فينا، وحولنا، من وقائع؛ إذ تتكرّس حالة الوفاق والتفاهم بين القطبين الأقوى، وتنهار النظم الماركسية في أوروبا الشرقية واحداً تلو الآخر، بينما تتسارع تراجعات، ومراجعات، جذرية لدى من لم يبلغ منها حدّ الانهيار بعد، ممّا يغري بالايحاء وكأن اليد الاميركية قد باتت هي العليا، دونما حاجة الى التذكير بأن هذه اليد بالذات تظل راعية المشروع الاستيطاني الصهيوني في فلسطين، ووليّ نعمته، وضامنة تفوّقه العسكري، وحامية عربدته وتوسّعه وتحدياته، دون ان ننسى، أيضاً، ان هذه اليد، منذ نجحت في دفع الرئيس المصري السابق، أنور السادات، الى النهج الذي بات معروفاً لتسوية الصراع العربي ـ الاسرائيلي بما يكرس وجود وتفوّق اسرائيل ويخرج مصر من هذا الصراع، لم توفّر جهداً الاّ وبذلته لدفع باقي المنطقة الى النهج عينه، ولو اختلف بعض تفاصيل وشكليات، هنا وهناك. وإذ يحدث هذا، وسواه، مترافقاً مع فرض حلول سريعة لكثير من الصراعات والنزاعات الاقليمية في العالم، بما لا تشذّ عنه حالة الصراع العربي ـ الاسرائيلي، لكي يتكرّس اهتمام القطبين الأقوى في البؤرة الأكثر الحاحاً، أي في التشكّل السياسي ـ الاقتصادي المجتمعي الجديد لأوروبا، نفهم، ونتفهّم، ان ينظر كثيرون الى حديث الحرب العربية ـ الاسرائيلية المقبلة نظرة استغراب، بل وحتى استنكار. لكننا نجد، مع ذلك، ما يكفي من الأسباب، والمؤشرات، الموضوعية لكي نطرح هذه الحرب احتمالاً مقبلاً، مؤكدين اننا نفعل هذا من قبيل التكهّن العلمي، والقراءة الواعية للمستقبل القريب، لا من قبيل التنبؤ بالغيب، أو التمنّي، أو الافتراض النظري.

وإذ نشير إلى أن أوساطاً عسكرية، وأكاديمية، إسرائيلية عدة قد عملت، في السنوات الماضية، ولا تزال تعمل، على درس ساحة القتال المستقبلية، وتطورات هذا القتال، ومساره، ونتائجه، واضعة تصورات دقيقة للحرب المقبلة، فلسنا نبرر بحثنا في الأمر بهذه الاشارة، ولا ننزع إلى ردّ نزق، أو مقابلة مشاكسة، وإنما نقرع جرساً يلحّ واجبنا علينا أن نقرعه، على الرغم من أن الكثير من الآذان، التي لأصحابها شأن وسلطان وهيمنة، لا تستسيغه، ونحذّر من مقبل تحاول أطراف عدة جعل أمره من منسيّات المنطقة، ومن تاريخ مضى لن يعود. وهي بهذا كمن يخدع نفسه؛ إذ يحاول خداع سواه.

حين لخّص الماريشال مونتغمري فهمه للحرب بأنها إرادة تعلو فوق إرادة، أصاب الى حدّ بعيد؛ اذ قرّر، وهو يحلّل صراع الارادات في الحرب، أن الدبلوماسية والقتال وجهان للحرب، من أجل تحقيق الهدف الاستراتيجي لها. ولذلك، يستحسن الاحتياط، في هذا السياق، إلى أن من البديهي أن يأتي القتال لتحقيق ما تفشل الدبلوماسية في إنجازه، أو للحؤول دون نجاح الدبلوماسية في